

بعد عام على السلطة.. الانقسام يضرب طالبان

كتبه صابر طنطاوي | 11 أغسطس, 2022



حين استولت حركة طالبان على السلطة في أفغانستان في 15 أغسطس/آب 2021، بعد انسحاب القوات الأجنبية بقيادة الولايات المتحدة، توقع الكثيرون أن الأوضاع ستسير نحو منعطف أكثر استقراراً بحكم دراية الحركة بالداخل الأفغاني ودراستها المعمقة لمشاكل البلاد من خلال تجاربها السابقة في السلطة، فقد اعتبر البعض أن الانتصار على الحكومات المتعاقبة والمدعومة من الخارج بداية الطريق الصحيح نحو النهوض والتنمية.

لكن مع مرور عام على عودتها إلى السلطة، تحول الحلم إلى كابوس، فالأوضاع لم تتغير بعد، وعلى العكس ازداد الأمر سوءاً وتدهوراً، شمل تدهور مستمر في الأوضاع المعيشية، وتراجع أكثر تشدداً في العطاءات الحقوقية، ما زج باللاريين من أبناء أفغانستان إلى آتون الفقر والديون في سابقة لم تحدث حتى تحت الحكم الأجنبي.

وفي ظل تلك الوضعية الحرجة التي تهدد مستقبل الحركة، بدأت الانقسامات بين أعضائها تدب بداخليها بصورة متسرعة خلال الآونة الأخيرة، انقسامات تهدد تماسكها وتضع وحدتها التي كانت ساعدتها الأبرز والأقوى على المحك، وسط حالة من الترقب الدولي والترقب الداخلي لقدرتها على

إدارة المرحلة وعبر البلاد من هذا المأزق الخطير، بما يتماشى مع تعهداتها التي قطعتها على نفسها حين استعادت السلطة في أغسطس/آب العام المنقضي، وسط تصاعد المخاوف من أن تقود تلك الشروح إلى حرب أهلية شعواء تعيد الأجراء إلى تسعينيات القرن الماضي.

سياسية وعقدية.. انقسامات بشأن إدارة الحكم

ينقسم أعضاء الحركة إلى تيارين متعارضين: الأول يميل نحو الإصلاح وإبداء بعض المرونة إزاء المسائل الجدلية المتعلقة بالحقوق والحريات، أبرزها عمل المرأة وتعليمها مع فتح قنوات اتصال مع بقية التيارات الأخرى، فيما يتمسك التيار الثاني بمرتكزاته الأيديولوجية رافضاً التزحزح عنها، معتبراً أن ذلك تنازلاً غير مقبول.

وكانت هناك بعض المحاولات الحثيثة لتقديم "طالبان" أوراق اعتمادها للمجتمع الدولي من جديد كحركة إصلاحية استفادت من تجارب الماضي، وملتزمة بمقتضيات التطورات العصرية الراهنة، فأقيمت عدد من مباريات الكريكيت في ملاعب مماثلة بالشجاعين، مع السماح نسبياً باستخدام الإنترنت ومنصات التواصل الاجتماعي، بجانب السماح للفتيات بالذهاب إلى المدارس، مع منح المرأة مزيداً من التسهيلات في مجال العمل، فكان ولأول مرة منذ سنوات أن يُسمح للصحفيات بإجراء مقابلات مع مسؤولين حكوميين وتنفيذيين.

لم يسفر عام الحكم الأول في الولاية الجديدة لطالبان إلا عن من مزيد من التدهور على المستويات كافة، أبرزها وأكثرها ملائقة للمواطنين، المستوى المعيشي، إذ تلقى الاقتصاد الطالباني ضربة موجعة بعد وقف المساعدات الخارجية التي كانت تمثل 45% من إجمالي دخول البلاد

الحلل الأفغاني في مجموعة الأزمات الدولية إبراهيم بحيس، علق على هذا الانقسام قائلاً "لدينا معسكر يدفع بما يعتبره إصلاحات، ومعسكر آخر يبدو أنه يعتقد أن حق هذه الإصلاحات الضئيلة، مبالغ فيها"، فيما أشار المتخصص في شؤون أفغانستان من مركز "ويلسون سنتر" للبحوث مايكل كوغلمان إلى أن "هناك بعض الحالات التي نلحظ فيها تطويراً في السياسة، لكن لنكن واضحين، ما زلنا نرى منظمة ترفض التخلص عن آراء عقائدية رجعية"، حسبما نقلت عنهما وكالة "فرانس برس".

وفي مارس/آذار الماضي ألغى زعيم الحركة، هبة الله أخوند زاده، قرار إعادة فتح وزارة التعليم المدارس الثانوية للبنات، بعد أن كان على بعد خطوات قليلة من تنفيذه، في تحول أثار الكثير من الجدل فيما

رأه محللون محاولة لإزالة الاتهام الخاص بالإذعان لطالبان الغرب، ما تسبب في إجهاض أمل استعادة التدفقات المالية الدولية على البلاد، وهو ما أثار تحفظات الكثير من الأعضاء داخل الحركة.

وتحتهدف حركة طالبان من وراء المرونة النسبية التي يبديها البعض إلى مغازلة الدول الغربية لتغيير مواقفها إزاء الحركة وإعادة مسارات الدعم والمساعدات الخارجية، بجانب إنهاء العزلة المفروضة على أفغانستان منذ سنوات طويلة بسبب وضعها المتردي وفوضويتها سلطاتها الحاكمة.

وقد أدى هذا الصراع الداخلي، مع الضغوط الخارجية المتواصلة، إلى تفتت جهود "طالبان" وإجهاض محاولاتها لتحسين الأوضاع كما أفقدتها الكثير من المصداقية، لدى رجل الشارع والمجتمع الدولي، بجانب أنه قدم صورة سلبية بشأن قدرتها على النهوض بالمجتمع في ظل تباين وجهات النظر إزاء المسائل التي يراها الخارج أساسية وحيوية فيما هي محل خلاف ونزاع بين أعضاء الحركة.

وقد حذر ك OG مان من أنه إذا لم يتم معالجة الضغوط المتصاعدة التي تواجهها "طالبان" فإنها قد تقود إلى مزيد من التشدد في النزعة المحافظة في الحركة متسائلاً "إذا بدأت قيادة طالبان تشعر بتهديدات حقيقية لاستمراريتها السياسية، فهل ستتغير؟".

الأزمات التي تواجهها البلاد خلال العام الأخير جراء سياسات الحركة وصلت إلى حد عدم تقاضي أعضاء الحركة رواتبهم منذ شهور، وهو ما أثار التذمر بينهم، وسط إصرار من قيادتها على المضي قدماً في سياسة التمسك بالأصول دون أي حلحلة للأزمة بدعوى عدم الانصياع لإملاءات الخارج، وهو ما يهدد بانشقاقات حادة ربما تشهدتها الحركة إن لم يتم تدارك الوضع في أقرب وقت.

فشل على المستويات كافة

لم يسفر عام الحكم الأول في الولاية الجديدة لطالبان إلا عن من مزيد من التدهور على المستويات كافة، أبرزها ملاصقة للمواطنين، المستوى المعيشي، إذ تلقى الاقتصاد الطالباني ضربة موجعة بعد وقف المساعدات الخارجية التي كانت تمثل 45% من إجمالي دخول البلاد، وبعد أيام قليلة من توقيع الحركة السلطة جمدت الولايات المتحدة 7 مليارات دولار أمريكي من أصول البنك المركزي، تبع ذلك انسحابات بالجملة من القوى الداعمة لأفغانستان خلال العقددين الأخيرين، بسبب عدم الاعتراف بالحكومة الطالبانية من جانب، وفشلها في تصحيح الصورة السلبية المتخذة عنها سابقاً كجماعة متشددة من جانب آخر.

فعلى مستوى الغذاء، يعني قطاع كبير من الأفغان من الجوع والعوز في ظل الارتفاع الجنوبي في أسعار السلع نتيجة جائحة كورونا من جانب وال الحرب الروسية الأوكرانية من جانب آخر، فضلاً عن تضييق الخناق الخارجي، ما أدى إلى فشل الكثير من أبناء الوطن في الحصول على ما يكفيهم من الغذاء يومياً.

تصاعد المخاوف لدى البعض من تفاقم الشروح داخل الحركة الحاكمة، خاصة في ظل العزلة التي تعاني منها منذ عودتها للسلطة، ما يصعب من مهمتها و يجعل مستقبلها السياسي على المحك

ووفق شود عيان فهناك صعوبة بالغة في توفير الخبز والزيت بصورة رئيسية، ما تسبب في تفاقم الوضع المعيشي لا سيما لصغار السن والعجزة، وهو ما يمكن الوقوف عليه في الأعداد الغفيرة الملقاة على أسرة المستشفيات بسبب سوء التغذية وفقر الدم والأنيميا.

أما على الجانب الخدمي الصحي فحدث ولا حرج، ندرة واضحة في المستلزمات الطبية، وتهاوٍ كبير في الدعم المقدم للمستشفيات والراكز الصحية ما تسبب في غلق أبواب الكثير منها أمام المرضى ممن يفترشون الطرقات العامة أمام المستشفيات على أمل الدخول لكن دون جدوى، فالإعداد هائلة ولا تناسب مع الكوادر الطبية المتاحة، وهنا يقول رئيس أحد المستشفيات في إقليم هلمند، إحسان الله رودي، إنه لا ينام إلا خمس ساعات في اليوم منذ بدء توافد المرضى، مضيًّا “هذا صعب جدًا. لم نشهد ذلك في العام الماضي، ولا في أي وقت سابق”， وفق تصريحاته لـ”فرانس برس”.

مخاوف من الحرب الأهلية

الضغوط غالباً ما تولد الانفجار، وتضييق الخناق تربة خصبة لنشوب الخلافات في ظل تباين الواقع، والانقسامات من شأنها أن تقود في النهاية إلى انشقاقات لا يحمد عقبها، هذا ما يتخوف منه الأفغان بشأن الانقسامات التي تعاني منها حركة “طالبان” التي من المرجح أن يكون لها تداعيات خطيرة.

تصاعد المخاوف لدى البعض من تفاقم الشروح داخل الحركة الحاكمة، خاصة في ظل العزلة التي تعاني منها منذ عودتها للسلطة، ما يصعب من مهمتها و يجعل مستقبلها السياسي على المحك، غير أن تخلي طالبان عن الحكم بعد عودتها إثر غياب 20 عاماً لن يكون قراراً سهلاً، ومن ثم فالدخول في نزاعات داخلية، سياسية واقتصادية وعقدية، وتفتيت مركباتها الأساسية بات تخوفاً كبيراً لدى الكثير من المراقبين.

في حال استمر هذا السجال، بين الميل للمرونة والافتتاح والإصلاح في مواجهة التشتت بالأيديولوجيات والواقعات القديمة الثابتة، فالآمور مرشحة للتفاقم، والخلافات في طريقها للتصاعد، ما ينذر بصدامات قد تقود إلى احترب أهلي من نوع آخر، وهنا مكمن الخطورة في ظل انشغال المجتمع الدولي بالمستجدات الأخيرة التي قلبت العادلة بالكلية.

وفي الجمل فإن النتيجة الوحيدة التي خرجت بها طالبان بعد عام واحد من الحكم تتمحور حول

تغير قواعد اللعبة، فالتمسك بالأيديولوجية القديمة قد يكلف الحركة مستقبلها السياسي الذي حاربت لأجل الدفاع عنه سنوات عدة، كما أن الانخراط بخطى متتسارعة نحو مستجدات العصر ربما يضعها في مرمى الاتهامات بالخنوع للغرب، وعليه ليس أمام الطالبانيين إلا تحقيق التوازن بين هذا وذاك، لعبور تلك المرحلة قبل الوصول في مستنقع الدماء مجدداً، فهل تعي الحركة الدرس قبل فوات الأوان؟

رابط المقال : <https://www.noonpost.com/44901>